رحلات

رحل الدكتور عبد الوهاب عزّام رحلات شتى إلى تركية والعراق وايران والحجاز والشام واوربة، ودوّن في كتاب سماه : الرحلات، ماراّه وما شعر به في بلاد الإسلام متوخياً غايتين : الأولى التعريف بأحوال البلاد الإسلامية، والثانية تدريب النشء على فن الوصف .

يغلب على الدكتور عزام في رحلاته الميل الى أمور كثيرة، فمرّة يتراءى له في هذه الرحلات شبح التأريخ، فتتزاحم في صوره الذكر والعظات، فلا يطوي سيناء إلا ذكر الطور الذي آنس موسى من جانبه نور الهدى، ولا يمر بتلك الصحاري المديدة الأ رأى الجيوش على رمالها هازمة ومنهزمة، جيوش الفراعنة ذاهبة الى الشام وراجعة منها، وجيوش بابل وفارس والاسكندر والرومان والعرب والترك .

ومرة تظهر على رحلاته آثار الولع بالأدب، فلا تقع عينه على طبرية إلا ازدحمت على ذهنه قصيدة المتنبي في موجها وطيرها وجنانها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطمُ
والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

وحيناً ينطلق قلمه بدقة الوصف ، فاذا دخل المسجد الأقصى في القدس تكلم على فنائه العظيم ، وعلى حجراته وشجراته المنفرقة ، وعلى قبته وصخرته وغير ذلك .

وحيناً تفيض النكتة في خلال كلامه ، فلا يكاد يصل الى نابلس حتى يشير الى شغف رفقائه بكنافتها المشهورة ، وحبهم لهذه الكنافة على الرغم من المطر والظلام .

وطوراً يجيش الشعر في صدره فيودّع بغداد ويناجيها :

بغداد ! تاج الحقب الخوالي ودرّة المستقبل المكنون .

وطوراً تجيش الصوفية في نفسه ، فتملي عليه الكلام على مولانا جلال الدين الرومي ، فيزور بقعته ، ويرى في سماء هذه البقعة آثار الشعر والحكمة والتصوف التي استفاضت في آفاق الإسلام منذ ستة قرون ، ويندفع في وصف دار المولوية في قونية ، اندفاعاً يتبين فيه مقدار ميله الى مولانا جلال الدين الرومي ، وانبساطه إلى آثاره ، وغزارة اطلاعه على هذه الآثار .

حتى إذا بلغ الحجاز ، وطلع حراء ، انبثق لذهنه من غار حراء نور محمد بن عبد الله الذي فرّ إلى هذه الغار من ضوضاء الحياة وأكاذيبها ، ومن مظالم الناس ومفاسدهم ومن باطل العقائد وزورها ؛ وجرى بيانه في هذه الذكرى مجرىً يدلنا على مبلغ الإسلام وسيدنا محمد من قلبه .

وهكذا فقد كانت رحلات الدكتور عبد الوهاب عزام مادة لطيفة في الوصف يجد فيها القارئ نُتفاً من كل شيء تشحذ خياله ؛ وتصقل فهمه .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net